المحاضرة3 : المؤثرات الأجنبية في النقد العربي القديم

تمهيد:

لقد شهد القرنان الثاني والثالث حركة ترجمة واسعة، قربت بين الثقافات المختلفة من هندية وفارسية ويونانية وعربية، وفتحت مصادر علمية وفكرية جديدة.ومما لاشك فيه أن مسألة التأثير والتأثر بين الثقافات المختلفة مسألة قديمة قدم العلاقات بين الأمم، وقد أثرت الأمة العربية في الأمم الأخرى بثقافتها، كما تأثرت هي أيضا ببعض الثقافات نظرا لانفتاحها على الآخر، وقد نقلت الآثار الفعلية الباقية مما حفظ التاريخ من آثار اليونان، وخصوصا كتاب الشعر وكتاب الخطابة، ولاشك أن العرب اطلعوا على هذين الكتابين واطلاعهم على ما تضمنه كل منهما من آراء أرسطو في الشعر اليوناني والخطابة اليونانية. فإلى أي مدى كان تأثيرها على النقد العربي؟

تأثير الثقافة الأجنبية في النقد العربي:

اختلف الباحثون العرب في بداية التأثير الأجنبي ونشأة النقد العربي، واختلفت نظراهم فمنهم من يرى أن النقد العربي بدايته مند العصر الجاهلي نظرا لعلاقته المتلازمة بالشعر، ومنهم من يرى أن البدلية الفعلية للنقد العربي كانت مع بدلية القرن الرابع الذي اشتهر بأنه أزهى العصور الذي كثرت فيه المؤلفات والمصنفات النقدية،ومن جهة أخرى تأثير الثقافة الأجنبية التي وردت للعرب من خلال اختلاطهم بالأجناس الأخرى وتوسع حركة الترجمة،وفريق آخر يرى أن للفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة أثركبير في تطور النقد العربي وأن ظهوره كان بظهور الفلسفة الي لها صلة وطيدة بالجانب العقلي والفكري.

1/ التأثير اليوناني في النقد العربي:

تعد قضية التأثير اليوناني عامة والأرسطي خاصة في النقد العربيين أهم القضايا الشائكة التي نالت اهتمام النقاد فمنهم من قبلها وانتفع منها كالجاحظ وقدامة

بن جعفر وهناك من رفضها كابن قتيبة وابن الأثير، وقد كان لترجمة كتب اليونان الأدبية والنقدية كبير الأثر في النقد العربي، فقد ترجم كتاب" الشعر" لأرسطو في القرنين الثاني والثالث يقول إحسان عباس: "كانت حركة الترجمة في القرنين الثاني والثالث قد قربت بين الثقافات المختلفة من هندية وفارسية ويونانية وعربية، وفتحت عيون المثقفين على مصادر علمية وفكرية جديدة ولكنا إذا استثنينا الجاحظ في القرن الثالث وجدنا هذه الثقافات المختلفة لم تترك أثارًا عميقة في البلاغة والنقد حتى الجاحظ نفسه لم يمس الشعر من الزاوية الفلسفية إلا مسًّا رفيقًا[1]. يتجلى التأثير اليوناني في النقد العربي من خلال عرض بعض آراء النقاد القدامى، نذكر من بينهم:

- **الجاحظ:**

منذ مطلع العصر العباسي نلمس مظهرا من مظاهر اهتمام العلماء والنقاد والأدباء العرب بفن الخطابة، ورغبتهم الحثيثة في تعلم أصولها، ومعرفة عوامل الإصابة من الموقف والمنطق والهيئة، وهذا ما يعرف عند الخطباء المحترفين عند اليونان، وهذا واضح في آثار الجاحظ وبيانه الفن الخطابي، وعناصر تقدمه وازدهاره.والجاحظ بهذا يريد أن تكون للعرب خطابة كخطابة اليونان، وأن يكون فيها هو الكاتب كما كان أرسطو هو الكاتب في خطابه اليونان. وقد نقل الجاحظ عن اليونان تعريفهم البلاغة بأنها: "تصحيح الأقسام واختيار الكلام"[2]. كما كان الجاحظ متأثرا بالثقافة الهندية، في نقله ترجمة لصحيفة هندية تتكلم عن قواعد البلاغة، أنها:"أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش،ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة.."

- **قدامة ابن جعفر:**

---

[1] – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص.186

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص:93،91.

من أهم ما ألف قدامة بن جعفر كتاب (نقد الشعر)، إذ يعد أوَّل مؤلف نقديٍّ عِلميٍّ في الأدب العربي. إضافة إلى براعته في البلاغة والأدب والفقه والكلام، تأثَّر بالمنطق والفلسفة، وظهر ذلك واضحا في نظرته للشعر ولعلم البديع. يقول قدامة في تعريفه للشعر: "إنَّ أول ما يُحتاج إليه في العبارة عن هذا الفنِّ معرفةُ حدِّ الشعر الحائز له عمَّا ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغُ ولا أوجزُ – مع تمام الدلالة – مِن أن يُقال فيه: إنه قولٌ موزون مقفًّى يدلُّ على معنًى". ثم شرَح هذا التعريف: "فقولُنا: (قول) دالٌّ على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشِّعر. وقولنا: (موزون) يَفصِله مما ليس بموزون؛ إذ كان من القول موزونٌ وغير موزون. وقولنا: (مقفًّى) فصلٌ بينَ ما له من الكلام الموزون قوافٍ، وبين ما لا قوافيَ له ولا مَقاطع. وقولنا: (يدل على معنى) يَفصل ما جرى من القول على قافية ووزنٍ، مع دلالةٍ على معنًى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريدٌ أن يَعمل من ذلك شيئًا على هذه الجهة لأمكَنه وما تعذَّر عليه." [3] ، يظهر تأثر قدامة بأرسطو ونقده للشعر من خلال استعمال المصطلحات الفلسفية التي استعملها مثل الجنس والنوع والحد.. ولعل ما يميز نقد قدامة عن سابقيه من أمثال الأصمعي وابن الأعرابي وابن سلام هو اتجاهه العقلي والفلسفي،فقد كان للثقافة اليونانية عظيم الأثر في تكوينه الثقافي والفلسفي فقدامة بن جعفر أحد البلغاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليه في علم المنطق[4] من خلال مؤلفاته له كتاب في صناعة الجدل وله شرح بعض المقالد من السماع الطبيعي (سماع الكيان) لأرسطو وله كتاب في الخراج[5]، وقد اعتمد قدامة في كتابه "نقد الشعر" على أسس النقد عند اليونان وحذا حذو أرسطو في كتاب الخطاب الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ونجد أثر أرسطو واضحًا عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات الفضائل وذكر أن

---

[3] – قدامة بن جعفر، نقد الشعر،ص:17.

[4] – الفهرست ابن النديم ص188.

[5] – نفسه.

المديح الجيد لا يكون إلا بها"[6]، وتأثره جعله يبني العمل الشعري على أساس القاعدة الأخلاقية ويحسب له أنه أول من زاوج بين الشعر والفكر من أجل استنباط علم بيان عربي، انطلاقا من الثقافة اليونانية ومحاولة إسقاطها على الشعر العربي.

- **حازم القرطاجني:**

من أعلام النقد الأدبي المدعم بالمنطق والفلسفة،حازم القرطاجني الأديب الشاعر الناقد مؤلف كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء الكتاب الذي شهد بتفرده عدد من العلماء، إذ يعد القرطاجني من بين أبرز النقاد الذين تأثروا بالثقافة اليونانية تأثرا واضحا في كتابه المنهاج، فالزركشي "يعتبر المنهاج ومقدمة التفسير لابن النقيب أجمع وأتم ما صنف العلماء في علمي البيان والبديع، وفي نظر آخرين يفوق المنهاج كل المؤلفات السابقة في هذا الفن للطريقة الحكمية المنطقية التي أبداها حازم في معالجة مسائله وقضاياه"[7]، وضيف إحسان عباس:"ربما كانت آخر صلة بين كتاب أرسطو والنقد العربي متمثلة في كتاب حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء"[8] . لقد كان تأثير مصطلح المحاكاة لأرسطو على حازم واضحًا فقد أفاض فيه وأقام عليه منهجه النقدي، ففي حديثه عن طرق التخييل في النفس يعطي المحاكاة الحظ الأوفر في إحداث التخييل في نفس المتلقي. وقد أشار هناك إلى عدة صور للمحاكاة، وبيَّن أنَّ الذي يهم في درس الشعر إنَّما هو محاكاة معنى بقول يخيله، وهذه هي المحاكاة التشبيهية المعتمدة في الصنعة الشعرية وهي التي أفاض في حديثها[9]، فحين تناول سبب قوة المحاكاة على التأثير عاد إلى ابن سينا ونقل ما قاله أرسطاليس في التذاذ النفوس وانفعالها بالمحاكاة من حيث هي محاكاة. ويقسم المحاكاة تبعًا لعدد من الأسس وهي:

---

[6] – نقد الشعر ص2.

[7] – المنهاج،ص:117.

[8] – إحسان عباس،ص:547

[9] – التفكير النقدي عند العرب ص339–340.

- أقسام المحاكاة لطبيعة المحاكى والمحاكى به.
- أقسام المحاكاة تبعًا لغرضها.
- أقسام المحاكاة تبعًا للوسيط المستخدم في إجرائها.
- أقسام المحاكاة تبعا لما في الطرفين من ألفة واستغراب.
- أقسام المحاكاة تبعًا للقدم والجدة[10].

2 /_الأثـــر الفارسي:

كان تأثير النقد الفارسي على العربي تأثيرًا محدودًا إن لم لم نقل معدومًا فهو أقل شأنا من التأثير اليوناني، أمَّا تأثيره الحقيقي لم يكن سوى على الشكل (الألفاظ) التي نقلت من خلال النصوص الأدبية إلى اللغة العربية من خلال ترجمتها ، وممن حمل روح الثقافة الفارسية في كتابته الجاحظ فهو ينقل لنا الثقافة الفارسية في نصوصه لكنه في الوقت ذاته لا يتكلم عنها في مقام العقل والفلسفة التي تحضر بيونانيتها في حديثه عن النقد.كما كان هذا التأثير شديدًا في العصر العباسي خاصة لأنَّ العنصر الفارسي طغى على الخلافة العباسية ، فقد كان كثير من الفرس يتولى مناصب قيادية في الجيش وكان أكثر وزراء هذه الدولة من الفرس فكانوا يستأثرون بالكتَّاب الذين يجيدون العربية والفهلوية.

3/ الترجمة:

كان للترجمة دور كبير في اتصال الناقد العربي بالفكر اليوناني واطلاعه على كتب أعلامه مثل ارسطو وافلاطون. وقد عدّت الثقافة الفارسية الوسيط الثقافي لوصول الفكر اليوناني إلى العالم العربي في العصر العباسي، ففي هذا العصر ازدهرت حركة الترجمة وتطورت ، وكان للكتب المترجمة من الفارسية أثرها العظيم على الثقافة العربية؛ إذ ترجمت كتب شتى في العلوم والتاريخ والسير والموسيقى والأخلاق ونظام الحكم وأشهر المترجمين 'نوبخت' وابنه 'الفضل'

---

[10] – نفســه 140وماعدها .

و'علي بن زياد التميمي' و'عبد الله بن المقفع' ومن أشهر الكتب التي ترجمت إلى العربية كتاب "سير ملوك الفرس" وكتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" وكتاب " كليلة ودمنة " وغيرهم.